ألق الحكاية: إضاءة لإشكاليّات القصّة قصيرة جدّاً

بقلم: باقر صاحب/ العراق

ليست هذه المرة الأولى، التي نتناول فيها إشكاليات القصة القصيرة جدا، فقد تناولناها سابقا في أكثر من مقال قصير، حين توقفنا عند فوز الكاتبة الأميركية ليديا ديفيز بجازة (مان بوكر) البريطانية العام 2013، عن قصصها ذات الومضة أو السطر الواحد، حيث قلنا في حينها بأنه (عادة ما تفوز في جائزة البوكر الروايات، أي الأعمال المكتملة الطول، خروجها عن المألوف هذه المرة هل يعني إعادة الاعتبار لفن القصة القصيرة، هل يعني إلفات الأدباء والكتاب إلى ضرورة الاهتمام بهذا الفن مجددا بعد أن همشته الروايات التي أصبحت تسمى فن العصر). يأتي كتاب (ألق الحكاية/ استشراف القصة القصيرة جدا) لمؤلفه عباس داخل حسن، ليثير شجون الكتابة بهذا الجنس عبر إضاءات مختلفة، تناولت القصة القصيرة جدا من جميع الزوايا. تصف الوكيبيديا (الموسوعة الحرة) القصة القصيرة جدا بأنها: (تعتبر بالحجم أصغر من القصة القصيرة وقد لا تتجاوز بضعة أسطر وأحياناً قد لا تكون أكثر من سطر واحد)، وأن مواصفاتها تتمثل بـ: (القصصية،الجرأة، والوحدة، والتكثيف، والمفارقة، وفعلية الجملة، والسخرية، والإدهاش، واللجوء إلى الأنسنة، واستخدام الرمز والايماء والتلميح والإيهام، والاعتماد على الخاتمة المتوهجة الواخزة المحيرة،

وطرافة اللقطة، واختيار العنوان الذي يحفظ للخاتمة صدمتها(. كانت الفرنسية ناتالي ساروت في كتابها (انفعالات) العام 1932 أول من كتب القصة القصيرة جدا، لتتبعها محاولات عديد من الكتاب يدفعهم هاجس التغيير وسحر الكتابة به وإغواء قصره، فكتب فيه نجيب محفوظ وبورخس وتشيخوف وكافكا، كما يذكر المؤلف عباس داخل حسن، معرجا إلى اشتغالات السوري زكريا تامر، فهو أشهر الكتاب العرب في هذا المجال، فهو ذات (أسلوب كاريكاتوري غرائبي محبوك موظفا تكثيف اللغة والانزياح والإيحاء بأبهى صورها):16- الكتاب يتناول الكتاب إسهامات الكتاب العراقيين في الكتابة بهذا الجنس الإبداعي وسعيهم للتميز فيه، مشيرا إلى كتابات الستينيين والسبعينيين، عبد الرحمن مجيد الربيعي، أحمد خلف، خالد حبيب الراوي، بثينة الناصري، إبراهيم احمد . يتوقف المؤلف أمام بعض الكتاب اللاحقين ممن كرسوا أنفسهم للقصة القصيرة جدا، سعيا لإبرازه كجنس إبداعي مستقل، ازدادت في العصر الحديث مبررات تكريسه كفن سردي قائم على أقصى ما يكون الاختزال اللغوي ومن هؤلاء القاص هيثم بهنام بردى، الذي يقول عنه (حقق للقصة القصيرة جدا تألقا آسرا في الدهشة وصفاء اللغة الشعرية المنتقاة، مما جعله في الصف الأول بامتياز) ذاكرا أيضا حمدي مخلف الحديثي وإبراهيم سبتي وزيد الشهيد ونهار حسب الله وعلي السباعي، احمد جار الله وسعدون جبار وماجدة غضبان المشلب، ولكنه نسي ذكر صلاح زنكنه، الذي برع في نماذج قصصية عديدة من القصة القصيرة جدا. يشير مؤلف الكتاب إلى ظهور دراسات ومقاربات وأنطلوجيات متعددة تريد تأصيل هذا الجنس السردي، فيدرج مقاربات لكتاب

عرب عن جدل النشأة والريادة، ومن المقاربات المهمة، ماكتبه نزار بريك هنيدي الناقد السوري عن كتاب جبران خليل جبران (التائه)، مقاربة فيها تقص عن إمكانية أن تسمى نصوص جبران في الكتاب قصصا قصيرة جدا، فيجري مطابقة لمقومات القصة القصيرة جدا على قصص الكتاب، فيذكر أنها قصيرة الطول، فبعضها لا تتجاوز ثلاثة اسطر أو ربعة، والبعض الآخر بين ستة إلى خمسة عشر سطرا، ويذكر أيضا اعتماد نصوص الكتاب على(بنية قصصية ذات حدث محوري يتم بين شخصيات):47، خصيصة أخرى تنطبق على نصوص جبران هي (وحدة الموضوع والغرض): 48، التي تستلزم كما يذكر المؤلف خصيصة أخرى هي (الاقتصاد والتكثيف). من مقاربات جدل النشأة والريادة، ينوه المؤلف إلى محاولات كتاب عرب ، ومنهم الفلسطيني الراحل غسان كنفاني، في إرجاع نشوء القصة القصيرة جدا إلى بعض مما يحفل به التراث العربي والإسلامي (مما يقع تحت الحكاية بشكلها البسيط والشفاهي أو الخبر أو الطرفة والنكات):54، أو كما موجود في (أخبار الحمقى والمغفلين للحافظ ابن الجوزي) أو كتاب (البخلاء للجاحظ)، وبعضهم يعود بها إلى المقامة وبعض فنون التراث التي توسم ب(الاكتناز والسخرية)، المؤلف يعارض هذه الآراء مع الاعتراف بإفادة القصة القصيرة جدا من التراث وتوظيف الوقائع التاريخية بشكل مختلف، إلا انه أي المؤلف يقر بأن النصوص التراثية القصيرة جدا تخلو من (المقصدية الرمزية)و(الخرق الجمالي) المتوفرين في القصة القصيرة جدا الآن. طبعا من الضروري التأكيد على المصطلح في تأصيل القصة القصيرة جدا، لما للمصطلح من أهمية في (حل الكثير من الإشكالات والتصنيف وتفكيك سنن

النصوص ومرجعياتها بوضوح دون التباس لدى المهتمين والمختصين والقراء):
61، ولهذا تعود إشكالية القصة القصيرة جدا، إلى تأخر سن حد اصطلاحي لها إلا في سبعينيات القرن المنصرم، وترتب على هذا أن كل النصوص السابقة لهذا التحديد الزمني، المستوفية لشروط القصة القصيرة جدا، لم يطلق عليها هذا المسمى، أو تختلف المقاربات النقدية لها بشأن تسميتها، يعود المؤلف إلى ذكر نصوص جبران في كتابه (التائه) التي لم تدرج تحت مسمى القصص القصيرة جدا وقت صدور الكتاب بحسب ما يريد أن يتواصل إليه المؤلف. إزاء غزارة إنتاج ما يدرج تحت مسمى القصة القصيرة جدا، يقترح المؤلف تنظيم (ورش متواصلة ودؤوبة لإغنائها قصا ونقدا وأرشفة وغربلة):65 بسبب استسهال التعاطي مع هذا الجنس القصصي، فتعج مواقع التواصل والشبكة العنكبوتية بنماذجه الرديئة، وأصبح من الصعب الحصول على نماذج قصصية تمثله جيدا، لذا يجب أن تكون مجساتنا القرائية مدعمة بمشرط نقدي يشرح (الأنموذج وفق مواصفات القصة القصيرة جدا (ق.ق.ج .